مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE FOUNDATION

2017 كتـــاب في دقـــائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

المدن والمتاحف والقوّة الناعمة

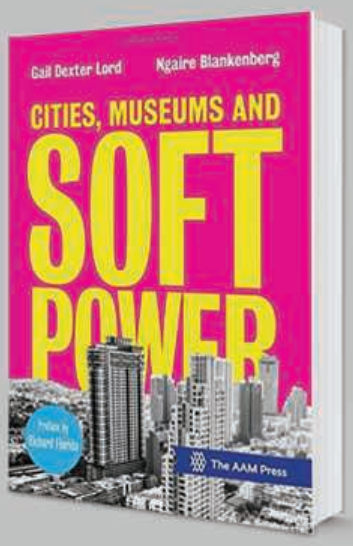

تأليف

جيل دكسستر لورد

نايري بلانكنبرج

127

الرعـاة

شريك استراتيجي
الإمـــارات للجـــول العقـــارية
www.eres.ae

DU ADVENT

QINDEEL EDUCATIONAL | قنديل التعليمية
www.qindeel-edu.ae

بالعربي
إحدى مبادرات مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

في ثوانٍ...

كانت رحلتي إلى دبي مختلفةً هذه المرَّة، إذ لم أنزل في أحد الفنادق العالميَّة الحديثة، والمحاطة برافعات البناء من كلِّ الجهات، بل أقمتُ في نُزلٍ صغيرٍ ذي طراز فنِّي عتيق في حيِّ «الفهيدي» الأثري الذي يضمُّ مجموعة من المتاجر والمعارض الفنيَّة في قلب المنطقة التاريخيَّة من «دبي»، التي تسمَّى «خور دبي»، وهي جزءٌ من مشروع تطوير منطقة الخور العتيقة وتأهيلها لتُصنَّف ضمن مواقع التراث العالمي لمنظَّمة «اليونسكو». هكذا وصفت «نايري بلانكبرج» مؤلِّفة كتاب: «المدن والمتاحف والقوَّة الناعمة» رحلتها إلى دبي وهي تعمل مع زميلتها «جيل دكستر لورد» على تأليف هذا الكتاب الذي يسعدنا أن نستهلَّ به أعداد هذا الشهر، في إطار تركيزنا على قوَّة دبي الناعمة التي جعلتها تحتلُّ المركز الثالث عالميّاً كأكثر المدن ديناميكيَّة وقدرة على مواكبة التغيُّرات العالميَّة.

لقد شهدت «دبي» تحوُّلاً جذريّاً في العقود الأخيرة، ومن المقدَّر أن يصل عدد زائريها عام 2020 إلى عشرين مليون زائر، ما بين سائحٍ ومستثمرٍ ومن أصحاب المشروعات والعاملين، فإلى دبي يأتي المستثمرون للاستفادة من الازدهار وأنماط الحياة الحديثة، ويأتي الضيوف والسائحون للتسوُّق من المتاجر الكبرى، والإقامة في الفنادق الفخمة، والاستمتاع بالطعام رائع المذاق والمتاح لجميع الزوَّار من مختلف الجنسيات من كلِّ مطابخ العالم، ومع وصول كلِّ القادمين إلى دبي، يكون في استقبالهم أبناء الإمارات في واحد من أفضل مطارات العالم وأكثرها اكتظاظاً، ليفتحوا أعينهم على مدينة زاخرة بالوعود والتفاؤل، كما تقول مؤلِّفتا هذا الكتاب التوثيقي الذي نقدِّمه كمرجع أساسي للمهتمِّين بتأثير التراث والثقافة والمتاحف والعمق والعَبَق التاريخي في القوَّة الناعمة للمدن الناشئة.

أمَّا العدد الثاني لهذا الشهر «كيف يكون يومك مثمراً» فقد تناولت فيه الباحثة «كارولين ويب» دور العلوم السلوكيَّة في زيادة إنتاجيَّتنا بالتكامل مع كلٍّ من علم الأعصاب وعلم الاجتماع، فضلاً عن قدرتنا على استثمار نقاط قوَّتنا التي تساعدنا على بذل المزيد من الجهد للتحكُّم في أنفسنا وصناعة حظوظنا التي تجلعنا - بالمعنى الحرفي للكلمة - نحظى بالكثير من الأيَّام المثمرة التي تتعاظم خلالها إنتاجيَّتنا وتتوهَّج فيها سعادتُنا.

وفي ثالث أعداد الشهر نقدِّم ملخص كتاب: «كيف نعيش حتَّى مئة عام» لمؤلِّفَيه «ليندا جراتون» و«أندروسكوت» اللذين يؤكِّدان أنَّنا نشهد تحوُّلاً استثنائياً يمكن أن يكون هبةً حقيقيةً إن تعاملنا معه بوعي، أو مشكلة مُزمنة إن لم ندرك أبعاده، فامتداد عمر الإنسان إلى مئة عام سيخلقُ للدول تحدِّيات صحيَّة واقتصاديَّة جمَّة، وكغيره من التحوُّلات التي تواجهها البشريَّة يمكن الرضوخ لنتائجه، ويمكن أيضاً توقُّع عواقبه، وتحويل ما يترتَّب عليه من مشكلات إلى ابتكارات، فرحلة الأعوام المئة مثل رحلة الأميال الألف.. تحتاج إلى اتخاذ خطوات متتالية تُحوِّل مجرياتها من نقمة إلى نعمة، ومن مشكلة إلى فرصة.

جمال بن حويرب
المدير التنفيذي لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

أجيال متنوِّعة وأماكن عمل جديدة

«كانت رحلتي إلى دبي مختلفة هذه المرَّة، إذ لم أنزل في أحد الفنادق العالميَّة الحديثة المتألِّقة بأبراجها العالية، والمحاطة برافعات البناء من كلِّ الجهات، بل أقمت في نُزلٍ صغير ذي طراز فنِّي عتيق في حيِّ «الفهيدي» الأثري الذي يضمُّ مجموعة من المتاجر والمعارض الفنيَّة في قلب المنطقة التاريخيَّة من «دبي»، والتي يُطلَق عليها أيضاً اسم «خور دبي»، وهي جزءٌ من مشروع تطوير منطقة الخور العتيقة وتأهيلها لتُصنَّف ضمن مواقع التراث العالمي لمنظَّمة «اليونسكو». هكذا وصفت «نايري بلانكبرج» رحلتها الأخيرة إلى دبي.

شهدت «دبي»، شأن العديد من المدن حول العالم، وخاصةً المدن الواقعة في الجنوب، تحوُّلاً جذريّاً ملحوظاً على مدى العقود الخمسة الأخيرة، واليوم بات بريقُ الذهب يجذب قرابة خمسة عشر مليون زائر كل عام إلى ناطحات السحاب الأنيقة. ومن المقدَّر أن يصل عدد زائري دبي عام 2020 إلى عشرين مليون زائر، ما بين سائحين ومستثمرين وأصحاب مشروعات وعاملين. إلى دبي يأتي المستثمرون للاستفادة من الازدهار وأنماط الحياة الملازمة الحديثة، ويأتي الضيوف والسائحون للتسوُّق من المتاجر الكبرى، والإقامة في الفنادق الفخمة، والاستمتاع بالطعام رائع المذاق والمتاح لجميع الزوار من كافة الجنسيات من كل مطابخ العالم. ومع وصول كل القادمين إلى دبي، يكون في استقبالهم أبناء الإمارات بواحد من أفضل مطارات العالم وأكثرها اكتظاظاً ليفتحوا أعينهم على مدينة زاخرة بالوعود والتفاؤل.

مع تجوُّلي في أسواق العطور والتوابل والأدوات المنزليَّة وغيرها من الأسواق الحيويَّة التي تعجُّ بأصوات تحميل البضائع وتفريغها، وإلحاح البائعين لعرض بضائعهم، وحركة المرور، يُثار سؤال مهم عما يمكن أن تقدمه المتاحف لروَّادها وللمؤسَّسات الحكوميَّة ولكل الزائرين لهذه المدينة التي تشهدُ ازدهاراً كبيراً، فما القيمة التي تضيفها المتاحف والمعالم الأثريَّة للمقيمين والعابرين الذين يظن معظمهم أن المتاحف لم توجد إلا ليرتادها السائحون؟

تعتبر المتاحف إضافة حضارية عميقة الجذور لتاريخ وحاضر ومستقبل أي مدينة، إلا أن قيمتها تتضاعف في المدن المزدهرة التي يدفعها النموُّ ويحدوها الطموح، لأنها تصل الماضي بالمستقبل عبر حاضر يموج بالخيال والإبداع، ويعجُّ بالناس من كل اللغات والثقافات، ومن مختلف الأصقاع والأنواع.

القوَّة

بالنسبة إلى أي مدينة وإلى قاطنيها، فإن المتاحف تعبر عن قوة وأصالة الدول وحكوماتها وشعوبها وأيضاً المقيمين فيها، لأنها تعكس صورها عبر شريط تاريخها وحاضرها وصورتها الذهنية في الداخل والخارج على حدٍّ سواء.

تلتقي المتاحف والمدن على مستوى العالم وتتعانق عبر قوَّتها الناعمة. وفي حين أن موارد «القوَّة الخشنة» – القوَّة العسكرية والمال تحديداً – ملموسة، فإنَّ موارد القوَّة الناعمة كالأفكار والمعرفة والقيم والثقافة غير ملموسة، لكن شبكات التواصل تمكِّن القوَّة الناعمة من نشر نفوذها وتأثيرها على مدى أوسع من خلال الإنترنت وسفراء المدن من مواطنين مسافرين وزائرين عائدين.

في المدن القويَّة متاحف قويَّة

كون المتاحف مؤسَّسات مجتمع مدني تربطها شبكات، فإنَّها تعزِّز أهميَّة المدن وتمكِّن حكوماتها لأنَّها تعزِّز قوَّتها الناعمة بما تضمُّه بين أركانها من دلالات على الفخر والتميُّز، فتكون مُرتكزات حضارية توفِّر الاستقرار وتحكي الذكريات، وتعمل كمنتديات لتبادل الأفكار، فضلاً عن كونها منابر للتلاقي وسط شبكة ثقافية تدعم العلاقات الراسخة بين الناس في المجال الثقافي والمجتمع المدني. وهي تسهم في تمكين الناس برعايتها للفنَّانين والمفكِّرين، وتزيد سرعة ووتيرة التغيير الثقافي، وتعكس الذكاء الثقافي لسكَّان المدن وزوَّارها، وصنَّاع سياساتها، وقادتها بسبب ثرائها وتنوُّعها الكبير.

تؤدِّي المتاحف دوراً متميِّزاً على مستوى بيئة المدن المعماريَّة، فهي معالم بارزة وعامل أساسي في تخطيط حيِّزها ومجالها الحيوي، إذ تعتبر المباني معالم مميِّزة وجذّابة؛ لأنَّها تجذب المطوِّرين العقاريين لإعادة إحياء المدن المتداعية، وتؤثِّر في السائحين والسكَّان والعاملين والمسافرين، ممَّا يحوِّلهم إلى سفراء ثقافيين ومواطنين دبلوماسيين يروِّجون للمدن كوجهات سياحية. وفي عصر القوَّة الذي نعيشه، تلعب مباني المتاحف دوراً أكبر من كونها معالم بارزة.

والمتاحف ركن أساسي في تصميم الحيز العام والفضاء الحيوي للمدن. والحيز العام هو مجال التفاعل بين الإنسان والمكان الذي يتمخَّض عنه رأس المال الاجتماعي، إذ تُمثِّل المتاحف مساحات متاحة ومفتوحة لزيارتها وتأمُّل كل ركن فيها بما له من دلالات وقيم ومعانٍ.

في بعض الدول النامية، تفضِّل المدن تدشين أماكن لنشاطات الفنون المجتمعيَّة ومراكز الفنون الإبداعيَّة على بناء المتاحف. وغالباً ما تُسند الحكومات المحليَّة إدارة الفنون إلى جهات خارجيَّة لعجزها عن تمويل الكوادر الثقافية، ممَّا يسفر عن فقدان الذاكرة المؤسَّسيَّة والمجتمعيَّة ويضعف تأثير المدينة، لأنَّ القوَّة الناعمة للمجتمع المدني تنبع من وقوفه على أساس راسخ يُمكِّنه من المشاركة والانخراط والتواصل، فالذين يحظون بمستويات معيشية مقبولة، وبفرص لتطوير مهاراتهم هم الأقدر على المبادرة والمشاركة مع الحكومة والقطاع الخاص من أجل التأثير في السلوك الإنساني وتغييره، إذ يتطلَّب تشجيع الإبداع البشري بناء الثقة، والتدريب على المهارات، وتكوين الشبكات البشريَّة، والمشاركة المدنيَّة، والتواصل بين الثقافات. وتتمتَّع المتاحف بمقدرة هائلة على الإسهام في كلٍّ هذه المجالات حيث تمثِّل المشاركة في الأنشطة الثقافيَّة أحد أكثر الوسائل فاعليَّة لبناء مجتمع مدني يتعاون أفراده لحلِّ المشكلات وصنع المعرفة، فالمجتمع المدني المفتوح هو أساس الاقتصاد الإبداعي.

تعتبر المتاحف عوامل تحفيز ثقافيَّة لأنَّها تحوِّل التغيير من تجربة تأثُّرية إلى قدرات وعمليَّات إدارية. وهي إحدى الاستراتيجيَّات الرئيسة للمجتمعات المواكبة للتغيير، إذ تُقدِّم المتاحف معلومات عميقة ومقارنة، وتساعد على فهم الكيفيَّة التي تغيَّرت بها القيم وأساليب الحياة عبر الزمن. وكلَّما كنَّا أكثر قدرةً على رؤية التطوُّرات والأحداث عبر الأزمان، مقترنةً بجغرافيَّتها، زاد نمو ذكائنا وفهمنا للسياقات الضرورية لممارسة القوَّة الذكيَّة، أي امتلاك القدرة على تحديد الأدوات التي يجب استخدامها والأشخاص والمؤسَّسات الذين يجب الاستعانة بهم لإحداث تغيير. تمدُّنا المتاحف بالذكاء التاريخي عبر سياقات المراحل فتمكِّننا من فهم سلوكيَّات المجتمعات وقيمها في الماضي وتأمُّل كيفية تعديل سلوكنا في المستقبل. وفي المدن شديدة التنافسيَّة سريعة التغيير، تبرز المتاحف كمورد حيوي لتنمية الذكاء الحضاري ومهارات التعامل مع الثقافات الأخرى.

اقتصاديَّات المتاحف والمدن

تتمتَّع بعض المدن باقتصاد يفوق اقتصادات دول بأكملها، فالمدن وليس الدول، هي العامل المحرك للنموِّ الاقتصادي العالمي. وبحلول عام 2025، ستحقِّق أقوى مائة مدينة نسبة 35% من إجمالي النموِّ الاقتصادي العالمي. وقد بدأت المواطنة والقوَّة الاقتصاديَّة تزداد تَركيزاً في المناطق الحضريَّة التي تتزايد قدرتها على التأثير في حياة الآخرين بشكل أكثر حسماً، مقارنةً بالعديد من الحكومات المحليَّة متعدِّدة القوميات. وقد ظهر تدرُّج هرمي للمدن من عالميَّة إلى محليَّة وإقليميَّة، تغيَّرت بناءً عليه الديناميكيَّات العالميَّة، فأمست المدن الآن هي مراكز القوَّة الناعمة.

وتجد بعض المدن والأحياء القديمة صعوبةً في التحوُّل إلى اقتصادَات معلوماتيَّة مع انهيار قطاع الصناعات التحويليَّة، وارتفاع مستويات البطالة، وتزايد الطلب على أنواع جديدة من الخدمات والمهارات. وقد بات جذب أفضل المواهب على مستوى العالم، وملاحقة صفوة المؤسَّسات الإبداعيَّة والابتكاريَّة التي تقود اقتصاد المعرفة الجديد من أولويَّات المدن التي تأمل الحفاظ على وضعها التنافسي عالمياً.

وفي هذا السياق، يدرك صانعو السياسات أنَّ المتاحف عوامل عمرانية واقتصاديَّة مهمَّة من شأنها مساعدة المدن على النجاح في إطار هذا التحوُّل. فالمتاحف عنصر محوري من العناصر المكوِّنة لمستقبل المدينة، وبالتالي يجب عدم حصر دورها في حفظ التراث إن أرادت استثمار أقصى إمكاناتها، ويصبح تأثير الثقافة والمتاحف في أوجِه حين تكون على رأس خطط التخطيط العمراني.

وللمتاحف آثار قصيرة المدى وأخرى طويلة المدى يمكن تلخيصها فيما يلي:

الآثار قصيرة المدى

الآثار المباشرة هي الدخل والوظائف التي يوفِّرها المتحف نفسه، غير أنَّ المتاحف لم تعد مجرَّد أماكن لتخزين وعرض المجموعات الأثريَّة، بل باتت مساحات عامَّة يستطيع الزوَّار أن يسترخوا فيها ويتواصلوا مع الآخرين ويشاركوا في البرامج العامَّة ويمارسوا ويعيشوا إبداعاتهم. وكلَّما زاد معدَّل إنفاق الزوَّار داخل المتحف، زاد دخل المتحف وقلَّ اعتماده على دعم الحكومة والمؤسَّسات والمانحين.

تتمثّل الآثار الناتجة عن ذلك في الوظائف والدخل اللذين يتوفَّران نتيجة إنفاق زوَّار المتحف على الخدمات التي تقدِّمها المدينة خارج المتحف، ويتضمَّن ذلك وسائل النقل والمواصلات، والطعام والشراب، وأماكن المبيت والإقامة، وأماكن التسوُّق، والخدمات الاستعلامية والسياحيَّة أيضاً.

تستطيع السياحة تقديم الكثير كونها مصدراً للمزايا الاقتصاديَّة، وتشمل فئات السيَّاح مجموعات «السيَّاح الثقافيِّين» الأكثر تحديداً الذين يُحرِّكهم ولعُهم بمشاهدة المعروضات التاريخيَّة والفنيَّة والعلميَّة والحياتيَّة والتراثيَّة للمجتمعات المختلفة. يحدث كلُّ هذا لأنَّ «السيَّاح المبدعين» يتطلَّعون إلى فرص للنموِّ الشخصي والمهني خلال السفر، وعادةً ما يحدث ذلك بالتفاعل مع هؤلاء الذي يشكِّلون الثقافة الحيَّة للمكان.

وللسيَّاح الثقافيِّين والمبدعين تأثيرٌ ثقافيٌّ كبيرٌ على الاقتصاد المحلِّي مقارنةً بغيرهم من السائحين، وذلك لسببين: الأول، أنَّهم ينفقون أكثر من غيرهم من السائحين، بل وأكثر من السكَّان المحليِّين، والثاني لأنَّهم يقضون وقتاً أطول في المدينة، ممَّا يزيد من تأثيرهم الاقتصادي غير المباشر.

كل دولار ينفقه السيَّاح هو قيمة مضافة بنسبة 100% إلى اقتصاد المدينة، وكلَّما زاد انجذاب السائحين لمتحف ما، زاد تأثير المتحف الاقتصادي في المدينة، فالمتاحف التي تحظى بأعلى نسب زيارات سياحيَّة من مجمل زياراتها هي التي تؤثِّر أكثر في الاقتصاد، بينما يكون للمتاحف التي يرتادها السكان المحليُّون فحسب آثار غير مباشرة ومحدودة للغاية، كما تكون الآثار مباشرة ومحدودة إذا كانت المتاحف مجانيَّة ومفتوحة للعامة ولا توفِّر مرافق للزائرين.

الآثار طويلة المدى

يتَّفق معظم الناس على أهمِّية المتاحف كغيرها من الأرصدة الثقافيَّة في بناء الهويَّة، والشخصيَّة، والتوجُّهات، والحماس الوظيفي، والإبداع، إلخ. وتعتبر كلُّ هذه العوامل مهمَّة وفاعلة لتحقيق النموِّ الاقتصادي، فبإمكان الأنشطة الفنيَّة والثقافيَّة في منطقة ما أن تؤدِّي بشكلٍ غير مباشر إلى امتداد الابتكار والتنمية الصناعية، عبر الإبداع في قطاع الفنون، إلى أنشطة اقتصاديَّة أخرى.

كما أنَّ المتاحف معالم عمرانية للمدن التي تقع فيها، فبعيداً عن تصميمها المعماري وحيِّزها العام، تتفاعل المتاحف مع بيئتها المباشرة بدعمها لنسيج اجتماعي يعزِّز الهويَّة المحليَّة والشعور بروح المكان. ومن خلال برامجها الثقافيَّة ومبادراتها، تُكوِّن المتاحف علاقات غير رسميَّة مع المؤسَّسات المجاورة لها. وتسهم هذه العلاقات في عمليَّة تخطيط الحيِّز العام، فقد يرغب مزيد من الأشخاص الموهوبين والمبدعين في أن يسكنوا بجوارها، وقد تنقل مؤسَّسات اقتصاد المعرفة مقرَّاتها إلى هناك للاستفادة من تلك البيئة الإبداعيَّة.

وشأن جميع الأرصدة الاجتماعيَّة والثقافيَّة، تقدِّم المتاحف إسهامات غير ملموسة تتضح بشكلٍ غير مباشر وعلى المدى الطويل فحسب، غير أنَّ قدرة المتاحف المؤكَّدة على توفير وظائف دائمة، أو جذب المواهب، أو جعل المدن وجهات سياحيَّة، أو تعزيز إحساس ساكنيها بالفخر والاعتزاز، أو لفت الأنظار عالميًّا إلى تلك المدن وتعزيز مكانتها العالميَّة، كلها أشياء تجعل من المتاحف عنصراً رئيساً من عناصر القوَّة الناعمة للمدن على مستوى العالم.

الترحال الثقافي: مبدعون على الطريق

تتجلّى ظاهرة الترحال الثقافي في المجتمع العالمي اليوم في كل مكان، فالأعمال الفنية اليدوية التي نشتريها والتي تحمل طابع ثقافات غير «ثقافتنا الأصليّة» يفوق عددها تلك الأعمال الفنية اليدوية التي تنتمي إلى ثقافتنا المحليَّة التي نعايشها كل يوم.

يشار إلى أفراد طبقة المبدعين، هؤلاء الذي يتمتَّعون بحسٍّ إبداعيٍّ وكفاءة عالية ويعملون في مجالات تتنوَّع بين التسلية والتصميم والفنون والتكنولوجيا، والذين يتنقَّلون من تجمُّع ثقافي إلى آخر لمتابعة أعمالهم أو مشروعاتهم أو دراستهم، بالرَّحَّالة الثقافيين. وينبغي أن تتاح لكلِّ العاملين في المجالات الإبداعيَّة حول العالم فرص متكافئة لتبادل الأعمال والمنتجات الإبداعيَّة مع الثقافات الأخرى.

يثري الرحَّالة الثقافيُّون الوجهات التي تستضيفهم بنتاج إبداعهم، ممَّا يساعد على تغيير الأنماط الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة القديمة، وفي معظم الأحوال وعلى الرغم من روح المغامرة، يواجه الرحَّالة تحدِّيات نفسيَّة وماديَّة خطيرة، فالمشكلات الهيكليَّة كنقص التمويل الحكومي، وسياسات استخراج التأشيرات وتصاريح العمل صعبة المنال، تشكِّل عوائق يواجهها مواطنو الدول النامية فتحول دون مشاركتهم في عمليَّة التبادل الثقافي، رغم الاتِّجاه الرائج نحو مزيدٍ من العولمة، وخفض تكاليف السفر، وتقنيات الاتِّصال.

من الضروري أن يتمكَّن المستثمرون من المشاركة في تمويل الترحال الثقافي، وذلك في ضوء تزايد دور الشبكات الدوليَّة والتعاون المتبادل بين الثقافات. لن تنمو ظاهرة الترحال الثقافي وتزدهر عالميًّا إلا حين نضمن إتاحة برامج التبادل العالميَّة، والتدريب التعليمي، والمنح، بنحوٍ متكافئ لجميع العاملين في المجالات الإبداعيَّة، والذين يأتون من مختلف الخلفيَّات الاجتماعيَّة والمحليَّة، فإن لم يحدث ذلك، فسيبقى الترحال الثقافي مهدَّداً بالتحوُّل إلى شبكة ضيِّقة ومقصورة على الصفوة وعاجزة عن مواجهة متطلَّبات عالمنا المتشابك.

ازدهار بناء المتاحف

كان بناء المتاحف وتوسعتها من الوسائل المضمونة التي تعتمدها الدول والمدن والأحياء تعزيزاً لجاذبيَّتها للسيَّاح الذين ينفقون بسخاء، أو لإبراز إبداعها العمراني، فالمزيد من الثقافة يؤدِّي إلى مزيد من الأفكار ومزيد من الإبداع والمال والسعادة. هكذا أصبح الهوس بالمتاحف ظاهرة عالمية، بفضل الخطاب المعرفي الزاعم بأنَّ التطوير الاقتصادي والثقافي يقترن أحدهما بالآخر، وهذا مسعى لمحاكاة الثقافة الغربيَّة له أسبابه وأهدافه المختلفة، التي تُظهِرها طبيعة ونوعيَّة المتاحف الجديدة.

لقد باتت الهندسة المعماريَّة للمتاحف بؤرة اهتمام، غير أنَّ ازدهار بناء المتاحف نشأ، وفقاً للباحثة الثقافيَّة «ميكاييلا جيبلهاوزن»، التي من الصعب الاختلاف معها في هذا الشأن، «خلال الربع الأخير من القرن العشرين، فقد باتت شعبية المتاحف وتنوُّعها في تزايد، وقد اهتمَّت هندسة المتاحف المعماريَّة بدراسة مجموعة

مختلفة من الأشكال الأسلوبيَّة والأدوار الاجتماعيَّة، ممَّا جذب اهتمام المخطِّطين الحضريِّين وألمع المهندسين المعماريِّين على حدٍّ سواء، ونتج عن ذلك ثراء أدبي ومعماري واجتماعي ضخم».

وبوسعنا أن نقيِّم الآن ما حدث عبر الثلاثين عاماً الأخيرة، ونعرف بناءً على ذلك كل الذين أسهموا في دفع هذه الحركة التوسُّعيَّة. على الرغم من أنَّ بناء بعض المتاحف جاء لخدمة أهداف أخرى، ففي بعض المشروعات، وبعيداً عن الهدف النهائي للمشروع، أصبحت بعض المتاحف مجرَّد أدوات ومساحات تُستغلُّ لتحقيق أهداف اقتصاديَّة براجماتيَّة ونفعيَّة.

كانت تلك الزيادة المذهلة في بناء المتاحف في الثلاثين عاماً الأخيرة ظاهرة تتجاوز البعد المهني، رغم تَغيُّر أهدافها وقيمها الهرميَّة، فالمتحف هو بناء هيكلي يرمي إلى الاستيعاب، وأحياناً تحميله بالكثير من المعاني والتوقُّعات، ومن هنا بدأ التركيز على التصميم المعماري للمتاحف في الانحسار من الناحية الفنية والتقنية، بينما يتزايد التركيز على الجانب الاجتماعي، وليس من قبيل الصدفة أنَّه بعد عقود من اللامبالاة، أصبح اهتمام صانعي السياسات والباحثين الآن منصبّاً على استمرارية هذا العدد الهائل من المؤسَّسات الثقافيَّة الجديدة، ومع ذلك ما زالت المتاحف تهتمُّ بإنتاج محتوى جديد، ومعنى جديد، وتأويل جديد يعكس قيم من يعملون في عصر المعرفة واقتصاد الإبداع الذي نعيشه.

تفعيل القوَّة الناعمة للمتاحف

تتمتَّع كل المتاحف بقوَّة ناعمة سواء تمَّ استغلالها أم لا. وتتناول معظم استراتيجيَّات التشغيل الأساليب التي تستطيع المتاحف تعزيز قوَّتها الناعمة من خلالها، وكذلك قوَّة مدنها الناعمة، وهذه دعوة للمدن لإيلاء قدر أكبر من الاهتمام لمتاحفها، وذلك بوضع سياسات وخطط وعمليَّات تدعم قوَّتها الناعمة، وحيث إنَّ من أهداف ومهام القوَّة الناعمة تمكين الأفراد، فلا بدَّ أن تجتهد إدارات المتاحف وتعمل على تمكين موظَّفيها، والمتدرِّبين فيها، وأيضاً زائريها.

ولذا فإنَّ بعض الاستراتيجيَّات التي سنعرضها هنا ستقود المتاحف إلى عمليَّة توازن دقيقة، تبحث خلالها عن أهمِّيَّتها وتأثيرها، مع تجنُّب الدعاية الزائفة والتحيُّز، لأنَّها تسعى إلى الشموليَّة والمشاركة مع الحفاظ على وضعها القانوني السليم، ودعم المواطنة والانتماء دون إقصاء القديم، مع أخذ العولمة والتفاعلات العالميَّة بعين الاعتبار دون التضحية بالمحليَّة، وتنوُّع مصادر تمويلها مع الحفاظ على استقلاليَّتها، ولهذا فإنَّ إدارة شؤون المتاحف ليست بالأمر اليسير.

أولاً: الحوكمة والموارد البشريَّة.. نشر القوَّة

تحظى مؤسَّسات المجتمع المدني بقوَّة ناعمة فاعلة لأنَّها تتشارك القوَّة مع الآخرين، فنشر القوَّة وتوزيعها على مؤسَّسات متعدِّدة من خصائص القوَّة الناعمة، بينما يعتبر تركيز القوَّة في أيدي أطراف بعينها من خصائص وطبائع القوَّة الخشنة، وهذه بعض استراتيجيَّات الحوكمة والموارد البشريَّة المتاحة لقادة المتاحف الراغبين في تفعيل القوَّة الناعمة لمتاحفهم.

◆ السياسات والرؤية البعيدة

في محاولة لجعل المتاحف الحكوميَّة أكثر انفتاحاً وجذباً للجهات الخاصَّة المموِّلة، تبنَّت بعض المتاحف القوميَّة والإقليميَّة والمحليَّة نماذج إداريَّة هجينة، وتنعكس مثل هذه الاستقلاليَّة الإداريَّة لتؤدِّي رسالة ورؤية والتزامات أكثر انفتاحاً، إلى جانب مجموعات أثريَّة وسياسات عرض تركِّز على تراث وذخائر وقيم المجتمع.

◆ القيادة الملهَمة

يُقال إنَّ القيادة هي فعل الشيء المناسب بالطريقة المناسبة، بينما تكتفي الإدارة باتِّباع الأسلوب المناسب في أداء الأعمال، ولممارسة القوَّة الناعمة، فإنَّ المتاحف بحاجة إلى زيادة إدراكها العميق لمعنى أن تكون مؤسَّسة مجتمع مدني، وهي بحاجة إلى تدريب القادة على جميع عمليَّات المتحف المؤسَّسيَّة على أداء الشيء المناسب دون التنازل عن المعايير المهنيَّة العالميَّة

التي تهتمُّ بالموضوعيَّة والتوازن. يعدُّ هذا التغيير تحدياً، فالمتاحف التي تسعى إلى تعزيز قوَّتها الناعمة قد تُواجه مقاومة داخليّة شديدة، غير أنَّ التخطيط الاستراتيجي الفعَّال يساعد إدارة المتحف وموظَّفيه كي يصبحوا قادةً فعَّالين وملهمين.

◆ أفضل الموظفين في الاقتصاد الإبداعي

يمكن لجميع المناصب الوظيفيَّة في المتاحف من صيانة وخدمات، إلى حراسة وأمن ومعلومات أن تكون إبداعيَّة، سواء أكانت بدوام كامل أم جزئي، أم كانت وظائف تدريبيّة أو تطوُّعيَّة.

ولممارسة القوَّة الناعمة بشكل تام، يجب أن تضمَّ المتاحف أفضل موظَّفي المدينة، فموظَّفو المتاحف يحتلُّون صدارة المجتمع والخدمات المهنيَّة كونهم موظَّفين دبلوماسيِّين، ومبتكِرين، ومعلِّمين، ومنظِّمي مؤتمرات، ومحترفين في حلِّ المشكلات.

ثانياً: المساحات المشتركة والمفتوحة

تزايدت أهمِّيَّة المساحات الاجتماعيَّة المشتركة كمصدرٍ للقوَّة الناعمة في المدن. والمتاحف بمجموعاتها الأثريَّة الجميلة، ومعارضها المتغيِّرة، ومساحاتها المفتوحة، وطاقم عملها الواعي، وحضورها الإلكتروني، ومواقعها المركزيَّة، وبالنسبة إلى تلك المتاحف التي تختار ممارسة قوَّتها الناعمة، من الضروري إعادة النظر في سياساتها التشغيليَّة كي تصبح مشابهة بشكلٍ أكبر للمؤسَّسات الاجتماعيَّة أو التعاونيَّة المشتركة، ولا تتحوَّل إلى ما يشبه النوادي الفئويَّة المغلقة.

◆ الدخول المجاني

هل المتحف نادٍ أم مكان عام؟ إنَّ الكيفيَّة التي تتعامل بها المتاحف ومجالس إدارتها ومدنها مع رسوم الدخول هي مفتاح الإجابة عن هذا السؤال ومؤشِّر للتنبُّؤ بمدى نجاح المتحف في تفعيل قوَّته الناعمة.

◆ ساعات تشغيل مناسبة

الفعَّاليات والمناسبات التي تشهدها المتاحف في العديد من المدن حول العالم في أوقات متأخِّرة من اليوم أو طوال الليل تجذب السيَّاح والسكَّان للاستمتاع بالمتاحف وشوارع المدينة كساحات اجتماعيَّة مشتركة.

ثالثاً: المجموعات الأثريَّة والتوثيق

المتاحف تُساعد الناس على التكيُّف مع التغيير بالكشف عن الأوجه والمعاني الكامنة في مجموعاتها الأثريَّة، وبتحفيزهم على فهم العمليَّات والسياقات الحاليَّة والتاريخيَّة المعقَّدة التي تمثِّلها تلك المجموعات، ونظراً إلى الماضي الصعب للمتاحف فيما يتعلَّق بجمع الآثار، فالأنسب التعامل مع هذه المهمَّة بشيءٍ من الحذر.

◆ جمع الآثار والعدالة الاجتماعيَّة

تتمتَّع المتاحف التاريخيَّة، والعلميَّة، والفنيَّة، بفرص لزيادة مقتنياتها كي تعكس الأفكار وأساليب المعيشة داخل مدنها، إذ يمكن للمتاحف أن تضطلع بدور استراتيجي في تطوير عمليَّة جمع الآثار والوصول إلى مجتمعات جديدة لجمع الأشياء التي تزخر بالمعاني والأفكار الجديدة، وبخاصَّة المجالات غير الملموسة كالقصص والملاحم والأغاني والفنون، وهي أشياء كان من الصعب توثيقها في الماضي، غير أنَّه يمكن الآن تسجيلها رقميّاً وتخزينها وعرضها إلكترونيّاً.

◆ المتاحف وسيط لإتاحة البيانات

نظراً إلى خبرتها في توصيل الأفكار المعقَّدة، تساعد المتاحف الناس على التكيُّف مع بيئات العمل الغارقة بالبيانات، وبإمكانها الاستفادة من التقنيات الحديثة تعزيزاً لتلك المهارات الجوهريَّة. والمتاحف شأنها شأن غيرها من منظَّمات المجتمع المدني تعتبر جسوراً تصل الحكومات والمواطنين، لا سيَّما حين يتعلَّق الأمر بفهم البيانات وتفسيرها.

رابعاً: الأبحاث والإنتاج: اقتصاد المشاركة

المتاحف التي تنتج وتنشر المعرفة الجديدة هي أحد الأوجه الحسنة والواضحة لاقتصاد المشاركة الذي ينتج السلع والخدمات والأفكار المفيدة للمجتمع، وهذه منصَّة قويَّة أخرى لممارسة القوَّة الناعمة، لأنَّ تطبيق المعرفة والإبداع على التحدِّيات الحاليَّة يعتبر عملة مهمَّة في الاقتصاد الإبداعي للمدن، وهذا جانب ينطوي على إمكانات هائلة فيما يتعلَّق باستثمار القوَّة الناعمة.

◆ التعاون والتبادل

تعتمد القوَّة الناعمة للمجتمع المدني على قوَّة شبكاته ومدى قدرتها على التعاون من أجل الصالح العام. ويتحقَّق الابتكار في المدن من خلال «الابتكارات الجماعيَّة أو المندمجة مع بعضها»، وهي تتكوَّن عبر تشابُك مختلف الفئات والأنشطة والأفكار، وتعتبر برامج التبادل العالميَّة وبرامج العلماء الزائرين والمؤتمرات أساليب لخلق فرص للتبادل والتعاون بين فرق العمل في المتاحف. ولذا ينبغي على قيادات المتاحف حثُّ فرقها على الانضمام إلى الشبكات المهتمَّة بشؤون المدينة خارج قطاع المتاحف، كالصحَّة العامَّة، ومساعدة المهاجرين، وما إلى ذلك.

◆ الهواتف المحمولة ونشر المعرفة

تغلق الهواتف المحمولة بشكل سريع الفجوة الرقميَّة، إذ باتت تتيح لأعدادٍ كبيرة من الأفراد فرص استخدام الشبكات والمعلومات، وتستعين المدن بالهاتف المحمول لاستكشاف أساليب جديدة لبناء العلاقات، ويمكن للمتاحف أن تنحو هذا النحو.

خامساً: التعليم والمعارض.. المحفِّزات الثقافيَّة

يمكن لأيِّ متحف أن يظلَّ عملاقاً نائماً أو يصبح مُحفِّزاً ثقافيَّاً، يحوِّل التغيير من تجربة تأثُّرية لا يد للمرء فيها، إلى قدرة على الإدارة الإيجابيَّة والنشطة للتغيير.

◆ مدُّ الجسور والتلاحم

يتحقَّق التلاحم المجتمعي حين يتَّحد أناس ينتمون إلى جماعة متجانسة لدعم بعضهم بعضاً. أمَّا إقامة الجسور فتشير إلى الشبكات الاجتماعيَّة القائمة بين الجماعات غير المتجانسة اجتماعياً. والجسور والتلاحم عنصران مهمَّان من عناصر القوَّة الناعمة؛ لأنَّ هذين النشاطين يخلقان شبكات قويَّة، ومجتمعات قادرة، ومستقلَّة، تحقِّق التغيير وتجذب الآخرين. تؤدِّي المتاحف والمدن دوراً حيوياً في إقامة الجسور والتوثيق، ففيما يتعلَّق بالتلاحم، تجمع المتاحف بين أشخاص من نفس الفئات العمرية، كالعائلات في متاحف الأطفال، أو بين أشخاص يتشاركون الهويَّة والانتماء. وفيما يتعلَّق بمدِّ الجسور، فالمتاحف تُقرِّب بين الهويَّات وتسدُّ الثغرات حين تعمل كمكان عام يجمع في رحابه جماعات إنسانيَّة لها نفس الاهتمامات.

◆ التعلُّم الاتصالي

المتاحف مثل المكتبات العامة تشكِّل أماكن للتعلُّم في شبكات ومجموعات متصلة، ويعتبر التعلُّم الجماعي منهجيَّة تربويَّة تسعى إلى توجيه عمليَّة التعلُّم وتيسيرها وتعزيزها في الأماكن التي تجري فيها فعلياً، كالمدارس ومنتديات الإنترنت، والمؤسَّسات التعليميَّة غير الرسميَّة. تدعم هذه المنهجيَّة التعلُّم المدفوع بالشغف والتوجُّه الأكاديمي القائم على دعم الأقران بعضهم لبعض بتبادل المعرفة، ممَّا يؤكِّد دعم شبكات العلاقات والاتصالات الاجتماعية، وتمثِّل المتاحف والمكتبات

العامَّة أماكن تعلُّم غير رسميَّة منظومة في هذه الشبكات.

◆ دعم الذكاء السياقي

الذكاء السياقي مهارة تساعد الأفراد على معرفة الخطط والاستراتيجيَّات الأكثر ملاءمة للأهداف في ظلِّ المشكلات الجديدة، وعند مواجهتها، فضلاً عن معرفة التوقيت المناسب لتوظيف القوَّة الناعمة أو الخشنة عند مواجهة مشكلة ما. ويتطلَّب السياق الثقافي امتلاك الرؤى الثقافيَّة، والذكاء العاطفي، والقدرة التحليليَّة الفائقة. وتساعد صالات العرض في المتاحف التي تعتمد على المعرفة المكتسبة من الأحداث والسلوكيَّات عبر الزمن، الناس على تنمية ذكائهم السياقي، وفهم الكيفيَّة التي تطوَّرت بها الأفكار، والاستراتيجيَّات التي أثمرت والأسباب الكامنة وراء ذلك.

سادساً: التواصل والتسويق.. تحويل الطاقة

تسمَّى عمليَّة تحويل الموارد المتاحة إلى نتائج سلوكيَّة «تحويل الطاقة». وللتواصل والتسويق دورٌ قويٌّ في هذه العملية، إذ يمكن تنمية القوَّة الناعمة من خلال استراتيجيَّة تواصل تركِّز على استثمار شهرة وشعبيَّة المتاحف، وسهولة الوصول إليها ودخولها.

◆ تعاون ذوي المصالح

حين يتعلَّق الأمر بالقوّة الناعمة، فجميع أنصار المتاحف أصحاب مصالح، وقد يكون التواصل فيما بينهم أكثر فاعليَّة من أنشطة التسويق التجاري وبناء العلامات التجاريَّة، لأنَّه يتطلَّب شبكات علاقات أكبر ومراسلات أقل، وبالنسبة إلى المتاحف، يجب أن تعمل منظومة التسويق وشبكات التواصل والمنتديات المدنيَّة معاً وبسلاسة مع الالتزام بتقييم تأثيرها ونتائجها، وقد يصبح ذوو المصالح شركاء ينمُّون قوَّة المتحف الناعمة بمشاركة المساحات والمنصَّات فيما بينهم بناءً على الاهتمام المتبادل.

◆ إبراز دور وتأثير المتاحف في الأخبار

على الرغم من أنَّ المتاحف وثيقة الصلة بحياة الناس فنادراً ما يرد ذكرها في وسائل الإعلام، رغم أنَّ الناس في حاجة إلى مشاهدة المتحدِّثين الرسميِّين للمتاحف في نشرات الأخبار وهم يحلِّلون رؤية وثقافة المجتمع، وحقوق الإنسان، والاقتصاد، والبيئة، وغيرها من القضايا الملحَّة، وعدم اقتصار الحديث على المتاحف والثقافة والتراث.

سابعاً: تمويل القوَّة الناعمة

كانت المتاحف تعاني من العجز في الحصول التمويل الكافي لتلبية طموحاتها، ثمَّ صارت تتلقَّى الدعم اللازم عبر مصادر تمويل تختلف باختلاف أنواع المتاحف، وهياكل مجالس إدارتها، وموقعها، ومهمَّاتها، والمستثمرين والشركاء فيها، ويسعى بعض قادة المتاحف لتوفير تمويل أكثر استقراراً باستخدام القوَّة الناعمة لمتاحفهم، وذلك لجذب أعضاء مجالس إدارة أكثر ثراءً، بحيث يلتزمون بشكلٍ كبيرٍ بالتمويل التشغيلي للمتحف.

◆ الشراكة بين القطاعين العام والخاص

عندما يصبح تأثير المتاحف في المدن ملموساً، يمكنها بناء علاقات مع مستثمرين وشركاء. كما قد يكون عقد المتاحف شراكات مع القطاع غير الربحي، والتعليم الحكومي، والخدمات الإنسانيّة، مثمراً أيضاً لبناء نمط القوَّة الناعمة الذي يجذب الاستثمارات الهادفة إلى التأثير الاجتماعي.

◆ التنمية العمرانية المثمرة

في عصرنا الحالي، وفي ظلِّ اقتصاد المعرفة، بات المتحف يُحسِّن التصميم العُمرانيَّ ويساعد على الترويج لتطوير المكان ويرفع قيمته. ومن المهمِّ أن تتعاون المدن مع المطوِّرين العمرانيِّين لإنشاء نموذج عمل يجعل المجمَّعات السكانية والمطوِّرين يدفعون ضريبة قيمة مضافة بسيطة مقابل نشاطهم في المناطق العامَّة لدعم الاستقرار والنموِّ وتميُّز المنطقة، وهذه من أبرز السمات التي يضفيها المتحف على المكان.

ثامناً: المدن وتبنِّي القوَّة الناعمة

هناك مدن كثيرة تبقى فارغةً من المتاحف، وبإلقاء نظرة سريعة على أدبيَّات علم العُمران، نجد قلَّةً من الكتب التي تأتي على ذكر المتاحف في فهارسها، وفي مدن أخرى باتت المتاحف تواجه ضائقات مالية بسبب فرض ضرائب عقارية عليها مقابل حصولها على تمويل حكومي من المدينة. لذلك يتعيَّن تعاون المدن والمتاحف واستخدام قوَّتهما الناعمة لمواجهة التحدِّيات المختلفة.

◆ التخطيط الثقافي

المقصود بالتخطيط الثقافي هو أن يخطِّط كل جزء من المدينة لتطوير نفسه بوعي لأهمِّيَّته الثقافيَّة الفعليَّة والممكنة، وهكذا تنخرط المدينة بأسرها في التاريخ والتراث والفنون، ليس باعتبارها أنشطةً منفردةً أو مشروعاتٍ رأسماليَّةً فحسب.

◆ من مناطق أثرية وتراثيَّة إلى نطاقات ثقافيَّة مشتركة

تُدرك المدن المؤثِّرة أنَّ تاريخها وسيلة لتعزيز سمعتها، وجذب الصناعات الإبداعيَّة، والاستثمار، والسكَّان الجدد، والسيَّاح، وذلك عبر مناطقها التراثيَّة وجماليَّاتها الفنيَّة، وتوظيف المباني التراثيَّة في السياحة الثقافيَّة، ومن خلال تحديد المناطق التراثيَّة، والتعاون مع المواطنين والمنظَّمات المدنية لتوفير التمويل اللازم ومساعدتها على الاستقلال لتمكين المدن والمتاحف من خلق مناطق ثقافيَّة مشتركة وديناميكيَّة ومفعمة بالدلالات والمعاني الحاضريَّة.

ليست الحكومات والدول وحدها التي تستثمر موارد القوَّة الناعمة بشكل فعَّال، فالمدن تمارسها أيضاً من خلال العلاقات الثقافيَّة الدوليَّة، والدبلوماسيَّة الثقافيَّة، والتعاون في مجال البيئة، والهجرة، ومستوى جودة الحياة، وأكبر دول القوَّة الناعمة هي التي يدشِّنها ويديرها المجتمع المدني وليس الحكومة والمؤسَّسات الكبرى، ولذلك فإنَّ نهضة المدن ودور المجتمع المدني يدفعان بالمتاحف من الهامش إلى مركز القوَّة الناعمة، فالمتاحف أماكن تطرح بين جنباتها الأفكار بشكل صريح فتشهد حالة من التنافس الشريف، وتستخدم المدن قوَّتها الناعمة للتنافس في جذب المستثمرين والموظَّفين الموهوبين، والصناعات المعرفيَّة النظيفة، والسيَّاح الذين ينفقون ببذخ أو بذكاء ثقافي متوازن.

كتب مشابهة:

Museums in a Global Context
National Identity, International Understanding,

by Jennifer Dickey. 2013.

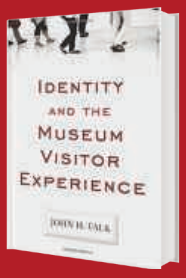

Identity and the Museum
Visitor Experience,

by John H Falk. 2016.

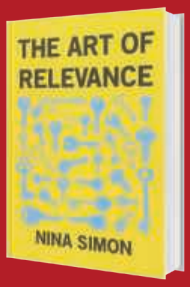

The Art of Relevance.

By Nina Simon (Author). 2016.

قراءة ممتعة

ص.ب: 214444
دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 3444 423 04
نستقبل آراءكم على pr@mbrf.ae

تواصلوا معنا على

MBRF_News
MBRF_News
mbrf.ae
www.mbrf.ae

qindeel_uae
qindeel_uae
qindeel.uae
qindeel.ae

تويوتا

صديقة البيئة

PRIUS

السيارة التي قادت ثورة التقنية الهجينة في العالم

لقد مهدت تويوتا بريوس الطريق نحو التنقل الصديق للبيئة وقادت المفهوم الثوري للسيارات الهجينة طوال العشرين عاماً الماضية. وها هي اليوم تتفوق على نظائرها من السيارات التقليدية بقطعها مسافة أطول بمقدار 26 كم بالليتر الواحد وتخفيضها طناً من انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون بفضل تقنيتها الصديقة للبيئة، لتتابع قيادتها للاستدامة الخضراء دون التخلي عن أناقتها وقيادتها المريحة.

#المستقبل_الآن

الفطيم للسيارات

TOYOTA T-Connect TOYOTA.AE 800 TOYOTA 869682